

هيكل الله

"إنكم هيكل الله"

يمسُّ بولسُ الرسولُ في الرسالة اليوم عمق الحياة المسيحية؛ ويتكلم عن غايتها وطريقة الوصول إليها. يشرح الرسول هنا "كبناء حكيم" طريقة وشروط بناء الحياة المسيحية. فحين يقول بولس: "أنتم هيكل الله" يعالج أمرين. الأمر الأول هو مَنْ يشكّل هيكل الله، والأمر الثاني كيف يُبنى هذا الهيكل. "أنتم" لبولس الرسول تعني ثلاثة مستويات. المستوى الأول هو الشأن الفردي الشخصي لكل منّا، والمستوى الثاني هو الشأن الاجتماعي أو الكنسيّ، للمجتمع والمؤمنين والإنسانية كلّها أيضاً. والمستوى الثالث هو الشأن الكوني، أي كلّ الخليقة وتاجها الإنسان. فكيف نبني من كلّ فرد ومؤمن هيكلًا لله! وكيف تكون تجمعاتنا في مجتمعات أو في الكنيسة أو... الخ هي أيضاً هيكلًا لله؟ وأخيراً كيف يصير هيكلُ الله هو الكونَ كلّهُ؟ لذلك يضع بولس الرسول شرطين. الشرط الأول هو الأساس السليم، و"لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الموضوع الذي هو يسوع المسيح" (١ كو ٣، ١١). والشرط الثاني هو أن تكون حجارة البناء (أتعاب البناء) من الذهب أو الفضة والحجارة الكريمة وليس من الخشب أو العشب أو القشّ.

على المستوى الشخصيّ، الفرديّ، يُولد الإنسان فعلاً طفلاً وهو أشبه بالحيوان الصغير؛ يبكي من الجوع ويفرح بالطعام، يتألّم من القساوة ويضحك للحنان؛ فكيف ينمو هذا الكائن، الشبيه بأطفال كلّ الحيوانات، إلى صورة تماثل صورة يسوع المسيح وشكل القديسين، أي يصير هيكلًا لله؟ إن بناء الكائن الفرد من كائن حيوانيّ إلى إنسان وشخص روحانيّ يختبر القداسة ويسكن الله فيه، لهو أمرٌ دقيق. لا شكّ أن الإنسان منذ طفولته يدخل العالم وهو ميّال إلى هذه الصورة، ويحمل في داخله الدوافع والطاقات لتحقيق ذلك. لكن كلّ ما سبق ليس كافياً ولا يُحتمّ هذه الصيرورة. تلعب التربية المسيحية الواعية الدور الأساس في بناء ونمو هذا الكائن، وخلق هيكلٍ منه. ويتحقّق هنا الشرطان. أولاً أن يكون الأساس يسوع المسيح. كلّ طفل هو كائن مقدّر له أن يصير

يسوعاً، إذا لم تفسده التنشئة اللامسيحية، وإذا نال القسط الكافي من التربية المسيحية. يجب أن نجعل يسوع مثلاً لأطفالنا، في طفولتهم قبل وعيهم، وفي شبابهم حين ينضج خيارهم. ويجب أن يكون اسم يسوع عذباً لديهم. وهذا يحصل بشكل أساسي من مطالعة الكتاب المقدس خاصة في عهده الجديد، فيتعرّف الطفل على يسوع، وهذا كافٍ ليأخذه مثلاً له ويتعلّم منه. ويجب أيضاً أن نعلّم أولادنا، بالإضافة لذلك، أن يحاوروا يسوع ويلجأوا إليه ويحبّوه، وهذا يحصل بتدريبتهم على الصلاة. وأجمل صلاة هي "صلاة يسوع". يجب أن يلتقي شخص كلّ طفل بشخص يسوع. وبعدها سوف تتزايد اللقاءات. هذا هو دور الأهل، أن يجعلوا هذا اللقاء الحي مبكراً قدر المستطاع.

وبعد هذا اللقاء، يحتاج الطفل والشباب لمساعدة فماذا ينفع اللقاء الأول إن لم يتكرّر؟ ولا يتكرّر اللقاء دون مثابرة وجهد. وهنا يجب أن نعلم أولادنا "حبّ التعب" والجهاد الروحي، وأن نجعلهم يذوقون تعبته وتعزياته أيضاً.

فالإبداع هو ذهب والنجاح هو فضة والإخلاص هو حجارة كريمة. "إننا أخذنا روح نجاح وليس روح فشل". فلا يكفي أن نضع الأساس، بل علينا أن نساعد أولادنا على تحضير الحجارة الذهبية والفضية... لبناء هيكل الله فيهم. إن النجاح المدرسي لأولادنا والنضوج الاجتماعي وأتعب الفضيلة المسيحية والتعليم الديني، كلّها ليست أموراً إضافية أو استثنائية، إنها كلّها أمور أوليّة وضروريّة إلى النهاية؛ وإلا لكان البناء من خشب أو قشّ وسوف تحرقه نار شدائد الحياة وغواية الدنيا.

لطالما، نلاحظ بعضاً من الشباب الذين نشأوا على الإيمان لكنهم، وللأسف، عندما دخلوا معترك الحياة أو واجهوا صعوباتها، حادوا عن حماس الإيمان وسقطوا في خصمّ الهموم مهملين هيكل الله فيهم. فلنسأل عندها، أين الخطأ، أفي الأساس إذ لم يكن يسوع دافعهم ومثالهم وقوتهم وقائدهم، أم في حجارة البنين، إذ لم تكن الأتعب في التعليم والدراسة كافية، فتسلط الكسل والإهمال فبني على الأساس المسيحيّ بناءً هشّ حرقته الأيام؟ "يسوع" الاسم العذب الذي يجب أن يتعلّق به كلّ طفل ويقتدي به ويخطو معه كلّ شاب. إن مطالعة الكتاب وممارسة الصلاة، وصلاة يسوع خاصة، يضعان هذا الإحساس ويؤمنان هذه الحجارة الكريمة.

وعلى المستوى الجماعيّ، إن كان اجتماعياً أو كنسيّاً، فإننا نلاحظ بسهولة المراهنة بين علمنة الكنيسة ومسحنة العالم. وهذا أمر يتعلّق بالأساس المذكور ونوع الحجارة.

مرّات عديدة يكون أساس مجتمعاتنا، والمسيحية منها، ربّما علم الاجتماع، وفي حالات أفضل "الطائفية"! فنلاحظ هناك كثرة وحرية الكلام عن الكنيسة وعن دورها الاجتماعي ومؤسساتها الإنسانية والخيرية، وآدابها الاجتماعيّة. وترانا لا نسمع كلمة "يسوع"! وكأننا مجرد نظام يمكننا تغييره في New age أو آية ديانة جديدة. بينما الأساس الذي لا يستبدل لدينا ليس هو الشرائع بل "يسوع المسيح". الوجه الاجتماعي للكنيسة هو الشهادة ليسوع، أو مع يسوع. حين يدخل أحد مؤسساتنا أو في إحدى تجمّعاتنا ولا يتعلم أن يحب يسوع أكثر، فهذا دليل فاضح على أن الأساس مزيف أو مشوّه!

لا نستغرب حدوث ذلك في مدارسنا أو حتّى في التعليم الديني ذاته أحياناً، على كلّ مستوياته. ليس صعباً أن ينحرف العمل الرعوي إلى بشارّة بطائفة بدل أن يكون رعايةً تقودنا إلى يسوع. هل ترسم ألوان حضارتنا وجه يسوع على وجه مجتمعاتنا؟ هل "يتصوّر المسيح فينا" في بنية مجتمعاتنا؟

أسئلة كثيرة يمكن طرحها هنا، ولربّما الإجابة الأفضل عليها هي الصمت ووقفه المسؤوليّة. أيضاً هنا علينا ألا ننسى يسوع، في مثل هذه الوقفات. فلنصرخ إليه "بدونك لا نستطيع أن نعمل شيئاً"، "سنترك كلّ شيء ونتبعك". لا شكّ إن مجتمعاتنا، حتّى في حال وضعنا لها أساس هو يسوع، ستبني عليه بناء من خشب الإنسانيات أو عشب الطائفيات أو قش الإيديولوجيات أو "العصرنة"... الخ وهذه مسؤوليّة المؤمنين أن يتعبوا ليرفعوا على الأساس المسيحيّ لمجتمعاتنا (المسيحية) بناءً من أحجار الشهادة الحقيقيّة والتعليم الواضح الرعويّ والسليم.

أما على المستوى الكوني، فإن مسؤوليّة المسيحيّ لا تنحصر في تخليص ذاته أو تلوين حضارته! إن مسؤوليّتنا التي أعطيت لنا هي مسؤوليّة كونية. فمسائل البيئة والألم والمرض والزلازل من جهة، ومسائل الإبداع والتطوير وحسن استخدام خيرات العالم من جهة ثانية، هي مسائل في صلب المسؤوليّة المسيحيّة. المسيحية ليست ديناً ينحصر في فرد أو يتفوق في مجتمع دون سواه، أو بشارّة تقصد خلق الإنسان وحسب. المسيحية مسؤوليّة كونية تسعى لجعل كلّ حركة في الكون، بيئية أو إنسانية أو علمية...، طقساً ليتورجياً، يلعب فيه الإنسان (وخاصّة المؤمن) دور الكاهن فيجعل من الكون ساحة حضور الله، أي هيكلًا له.

كلّ مظاهر الشرّ الطبيعيّ هي إعلان فاضح وصارخ أن المسيحيين لم يجعلوا بعد الكون هيكلًا لله، وما زال "الغريب" يحكمُ فيه (الشيطان). نعم يسوع أساس لكل مسألة كونية. إن قيامته من بين الأموات أجابت على أكبر إصلاح كوني، وجلبت في خبرة مسبقة صورة الكون الآتي. يسوع صورة للكون الذي يحيا ولا يموت، بدءاً من الإنسان الذي سيتحرر من عالم الفناء. الإبداع العلمي واحترام البيئة ومعالجة

أوجاع الناس والرأفة بالحيوان وحسن استخدام كلِّ شيء هي أمور في جوهر العبادة المسيحيَّة وحجارة تليق بالأساس الموضوع "يسوع المسيح".

يحقّ فعلاً لبولس الرسول أن يسمّي ذاته "بناً حكيمًا"، وهذا ليس من باب الادّعاء أو الانتفاخ بل تماماً "بحسب النعمة المعطاة له"، كما قال. إن هيكل الله رسالة ومسؤوليّة فرديّة لبناء الشخص المسيحيّ الذي يسكن الله فيه، ولبناء المجتمعات والحضارات المسيحيّة التي تشهد مع يسوع وله، ولبناء العالم ملكوتاً لله يُسرّ هو به. بناء الله وغرسه، نحن رسله وبناؤه، مع نعمة الربّ، آمين.